

## مُزِين النجوم

التزيين أو التجميل فن ..

وهو فن قديم منذ أن عرف الإنسان كيف يفتسل ، وكيف يمشط شعره ويهذب لحيته ، وكيف يشدّب أظافره ويكحل عينيه ويدهن جلده ، ثم يضع الأصباغ والمساحيق والعمود .. ولقد برع المصريون القدماء ، رجالا ونساء ، في هذا الفن إلى حد بعيد ، ينافس - وقد يتحدى - ما ابتكره أو يصنعه خبراء وفنانو هذا المجال اليوم (\*).

وهو فن لا تستغنى عنه السينما ، ليس فقط في إبراز الجمال ، وإضافة مسحة من نضارة أو إخفاء مساوئ وستر عيوب ، وإنما أيضا في محاولات ابتكار وإيهام : ابتكار ملامح معينة للشخصية المطلوبة ، والإيهام بأنها حقيقية ومطابقة لموضوع الرواية في السن ، والسمت ، والملامح ، والهيئة إن كان بها جروح أو كسور أو حروق أو بثور ... بمهارة الماكير ( المزِين المجلُّ المشكَّل ) بلمساته وأدواته يشيب الشاب ، ويصبو العجوز ، ويَعْبَس وجه الوديع ، وينطمس قُبْح الدميم . فهو إذن فنان مبدع معبر .

« ميشيل دُورُويل » من الفنانين المشاهير الكبار في هذا المجال ؛ ليس في بلده

---

(\*) بعد سنتين من الدراسة والتجربة ، نجح خبير عطور فرنسى - عام ١٩٩٨ - في فك رموز برديات مصرية قديمة وصنع العطر الذى كانت تتطبخ به الملكة كليوباترا .

فرنسا فقط ، وإنما على المستوى العالمى أيضا . وعنده أن الوجه - خاصة وجوه المشهورين من الرجال والنساء - بمثابة لوحته التى يُبدع عليها ويصيغ أفضل ما يطلب منه . عاصر نجوم العصر الزاهر للسينيما العالمية ، واختزن الكثير من الخبرات والأسرار والمواقف والحكايات ، فيها قدر كبير من الطرافة ، وقدر وفير من المعلومات عما يجرى ويدور خلف الكاميرا قبل الوقوف أمامها للتصوير . ثم كشف عن بعض ما يختزن فى كتابه : « أسرارٌ لجمال Secrets De Beauté » . وهذه مقتطفات تُلقي بعض الضوء ، وقد تُبهج وتفيد .

بداية .. هو لم يكن فنان تزيين وجوه ( ماكياج ) ، بل مهندس ديكور ، أى تزيين أماكن ومساحات . فما الذى حدث ؟ هل هو الحظ ؟ أم الصدفة ؟ أم القدر والنصيب ؟ .. فى فترة تفتح شبابه وفتوته ، كُلف بتجديد ديكور مقصورة المسرح الخاصة بالنجمة الشهيرة آنذاك - فى الأربعينيات - إيفون برانتان ، فأكمل المهمة على أحسن وجه . لم يكن ميشيل قابلها قبل إتمام عمله ، لكنه التقى بها لأول مرة ليلة العرض الأول لمسرحيتها الجديدة « جانبا عند بروست » - ١٩٤٨ - فتغير مجرى حياته .



مهندس الديكور دورويل على مائدة إيفون برانتان التى وجَّهته إلى التفوق فى تزيين الوجوه ( الماكياج )

كانت المقصورة المجددة والدهليز ( المر ) المؤدى إليها مزدحمان بكبار القوم والمشاهير والمقربين من المعجبات والمعجبين . انحشر ميشيل مع مصففة شعر نجمة المسرح في ركن من الصالون الملحق بالمقصورة . وإذا به فجأة يلاحظ تضاعف الحاضرين ليفسحوا مَعْبَرًا للنجمة ، فدخلتُ في بهاء ودلال ، في زى أبيض فاخر ، كالأميرة أو الملكة تتلقى التحية والتهنئة والمشاعر الحارة ، وكأنها تخطو فوق سحب . اهتز قلب ميشيل بسرعة وعنف . لم يصدق عينيه . مال برأسه إلى الأمام بين الواقفين المشدوهين ليتأملها عن قُرب بعد أن صافحت بُود زميلها في بطولة المسرحية . استدارت لتتأمل بإعجاب الديكور الجديد ثم سألت :

- من الذى غيرَ هذا المكان ؟ .. فأجابها صوت :

- ميشيل دورُويل .

في اليوم التالى مباشرة كُلف ميشيل بتجديد ديكورات قصرها الذى تقيم فيه بباريس مع زوجها « بيير فرزنائى » ، على أن يقيم ميشيل في غرفة خاصة بالقصر ليكون طوع أوامرها ورغباتها في أثناء عمله .

كاد يطير من الفرحة لسببين : لتقدير كفاءته وموهبته الشابة ، والأهم من ذلك ، أنه سيعايش الحياة اليومية لأشهر زوجين في الوسط الفنى ، بل وفي كل باريس . فيا لها من تجربة !

لم يبخل ميشيل ببذل أى جهد ، وأى عمل لإرضاء « النجمة الأولى » . فكان ينتقى لها - مع تخفيض الأسعار !- أفضل الأقمشة ، والألوان، والأدوات ، والمحسّنات ؛ ويقدم إليها الزهور يوميًا يشترىها من أجمل الأنواع ؛ ويتلقى في غيبتها عن القصر مكالمات التليفون ؛ ويصغى إلى أحاديثها معه عن بعض شواغلها .. إنها خدمات ولسات كثيرة يؤديها ميشيل عن إعجاب وإكبار وطواعية ، صادرة

من فنان مبدع مهذب . فكيف تشكر إيفون هذا الفتى الخدم الرقيق ؟

عندما كان لديها متسع من الوقت ، وفي حالة مزاجية من الابتهاج والسرور ، فإنها كانت تغنى له مقطعا أو اثنين من أجمل أغانيها . فإذا كانت على قدر أكبر من السرور والبهجة ، سألته : « ماذا ترغب في سماعه من أغنياتى ؟ » .. فيطلب .. وتغنى !

هكذا نَعِم ميشيل بصحبة تلك الأسرة غيرالعادية : يتناول أحيانا الطعام مع الزوجين السعيدين ، أو الشاى فى حديقة القصر . فلما جاء الاستعداد لتصوير فيلم هى بطلته : « فالس باريس » ، سافرت قبيل بداية التصوير إلى شاطئ البحر لتخفف من وزنها ثمانية كيلو جرامات - كطلب المخرج - ولتعود أكثر نضارة، وكأنها استعادت ثمانية أعوام من عمرها ! ودائما كان معها ميشيل ، تستشيرهُ الرأى ، وتكلفه ببعض المهام ، وتأنس بصحبته ، وتقضى معه خمس ساعات عند مصمم الأزياء لاختيار الملابس المناسبة للفيلم !

ويَعجب ميشيل من صبر مصمم الأزياء الشاب الذى لا يضيق بنقدها وملاحظاتها وتردها . لكنه لاحظ ( أى ميشيل ) أنه ترزى فنان ، وأحد المقربين إليها، تناديه بلقب « ملك روما » - كعادتها فى إطلاق أسماء وألقاب على المقربين - ولم يكن فى ذلك مبالغة ، فقد أصبح هذا الشاب فيما بعد واحدا من ملوك الأزياء العالميين : بيير كاردان !

فى ستديو التصوير ، كان ميشيل هو الشخص الوحيد الذى سُمح له - خارج مجموعة العمل - بحضور تصوير المشاهد ؛ واستثناء أيضا بحضور عمل ماكياج إيفون فى غرفة خاصة ملحقة بمقصورتها ، ولم يجد ميشيل حرجا فى إبداء بعض الملاحظات لماكييرتها « كآرمن » . كانت ملاحظات صائبة . فصاحت إيفون مرة قائلة :

- من لغشاء أن يُطلب منك التخصص في الديكور : صدّقنى .. هنا ( أى فى الماكياج ) مجالك وتفتّح موهبتك ! ..

كانت هذه النصيحة بمثابة الشرارة التى أشعلت حماس ميشيل ودلّته على معالم طريق سيحوّل مسار حياته بعد ذلك . وسريعا جاء اليوم الذى شعر فيه بأحزان الطفل الصغير الذى يترك بيته لأول يوم من أيام المدرسة . لقد انتهت مهمته بقصر النعيم ، فكان عليه أن يترك صحبة إيفون وزوجها . كان حقًا كالتميذ الصغير الوجل . لكن لبصحة كانت تدوى طنينا فى رأسه . فقرر الالتحاق بدورة تدريبية عند « آرا » الماكير السينيمائى المشهور فى كل باريس . لم يضيّع وقتا ، ولا جهدا . عمل ودرس وسهر واجتهد ، ليلا ونهارا ، وقسّم وقته بين دراسة فن الماكياج ، وأعمال الديكور التى يتكسب منها .

ثم جاءت ضربة حظ أخرى : اختاره الأستاذ المعلم - آرا - لصحبته مساعدا للماكياج فى أثناء تصوير فيلم فى منطقة الكوت دا زور الساحلية . وعن طريق صديق قديم ، التحق ميشيل بعمل ليلى فى ملهى قريب ، فى غير أوقات تصوير الفيلم . كانت فرصة ذهبية لكى يتدرب عمليًا مع أستاذه فى موقع التصوير . فرضى عن طيب خاطر تنظيف وترتّب الموائد التى يضع عليها أستاذه أدواته ، وكان يرقبه جيدا وهو يعمل ويبدع فى فنه ، وفى المقابل ، سُمح له بالبقاء داخل الاستديو خلف الكاميرا فى أثناء التصوير . فتعلم أشياء جديدة عليه فى فن التصوير السينيمائى ، مثل : كيفية ومعنى حجم اللقطات وتأثيراتها ، كاللقطة العامة ، والمتوسّطة ، والمكبرة ، والمقربة جدًا التى تتيح للمشاهدين أن يتبينوا بوضوح أدق المشاعر والانفعالات التى ترتسم على وجوه - أو فى عيون - الممثلين والممثلات . وأحس بلحظات القلق التى تنتاب الماكير عندما يدرك فى داخله أن عمله لم يكن جيدا متقنا ، حين تبدو على وجه النجم أو الممثل دلائل ذبول أو ضعف غير مطلوب أو مرغوب . وفهم ميشيل بواغث لهفة الماكير الجيد ونظراته الحائرة المتوترة وهو يلصق عينيه

مرارا بمنظار الكاميرا قبيل التصوير ليتحقق من نتيجة عمله على وجوه الممثلين ،ويدعو من كل قلبه ألا يدمر منسَّق الإضاءة ما أتقنه هو بأناة واجتهاد وصبر .

في هذه المرحلة ، أدرك ميشيل ووعى جيدا كيف أن العمل السينمائي هو - في المقام الأول - عمل جماعى . فأى فرد فى الفريق لا يتقن تماما ما هو مكلف به وفى وقته المناسب ، فإنه يفسد كل أعمال الآخرين . وفى أثناء التصوير ، لا يمكن أن يعمل فرد بمفرده أو على جِدَّة بمعزل عن بقية أعضاء الفريق . كما فطن ميشيل إلى العبء الضخم الملقى على كتفى المخرج الذى يقود كل الفريق ، ويوجِّهه ، ويراقب ، ويلاحظ كل التفاصيل فى لحظة التصوير .

وسرعان ما تكيف ميشيل مع « روح » العمل بهذا الأسلوب ، ولهذا وجد قبولاً من الجميع وإقبالا على صحبته ، فتضاعفت بهجته وسعادته النفسية ، إذ أحس بقيمة أنه عضو متآلف ومرغوب من أسرة كبيرة ، لكلِّ فيها دور يؤديه ، وفن يُبدعه أو يُتقنه . وعندما أقيم حفل « مائدة ختام تصوير الفيلم » ، كان مقتنعا تماما بسداد رأى « إيفون برانتان » .. وأنه - بلا ريب - وجد طريقه الصحيح!..

فى العام التالى - ١٩٥٥ - ارتبط ميشيل - وهو ما زال بصحبة أستاذه بيير آرا - بالعمل فى فيلم أمريكى : « ابنة السفير » . وهكذا ، بلا تمهيد ، يواجه الماكير الشاب طوفان الإنتاج الهوليوودى . غمَّره مزيج من الرهبة والفرحة . إن العمل باستديو «باتيه» السينمائي فى باريس كان حلم صباه . ها هو يتحقق فى الاستديو ذاته ولكن مع طاقم أمريكى . أدهشه بحق أن العمل السينمائي الأمريكى يتسم بالانضباط الشديد إلى درجة الصرامة . والممثلون الأمريكيون ليسوا أبدا فى تسبب وبذاءة أو وقاحة الفرنسيين ( هذا تعبيره بالنص : *désinvolture* ) . إنهم - الأمريكيون - يحرصون على التدقيق الشديد إلى حد الوسوسة ، مع احترام بالغ للقواعد والنظم ، وتقدير كل عمل مهما كان بسيطا .

كان تصوير هذا الفيلم فرصة كبيرة للماكير الناشئ أن يشارك فيه بتزيين وجه ممثلة شهيرة في عالم السينما : « أوليفيا دو هافيلاند ». لم يبخل عليه أستاذه بهذا الفوز ، فهو يحبه ويثق به ، ويتيح له بين الحين والحين مجالا لتحمل المسؤولية والاطمئنان إلى كفاءته الذاتية . وفي يوم من أيام التصوير ، فوجيء ميشيل بالمرح يصرخ في الاستديو غاضبا : فالممثلة الكبيرة - أوليفيا - لا يبدو على وجهها التأثر والانفعالات المطلوبة ، خاصة عند البكاء . وهذا لا يتناسب مع المشهد الذي تدخل فيه حلبة المنافسة مع مشتركات في مسابقة للجمال ، فهي تخشى الفشل ، لذا تبكى بحرقه تدنو من اليأس . فماذا يفعل ميشيل ومعلمه الأستاذ غيرحاضر بالاستديو ؟ إنه لم يتعلم من « آرا » كيف يصنع في مثل هذا الموقف . ولكن .. لا مفر . وضع بحرص شديد مادة مهيجة للدموع في عين الممثلة ، فانسالت بغزارة تحمل معها مادة التزيين المظلمة (ماسكارا) ، فصبغت الدموع باللون الأسود ، وتلطيح الوجه ، وانقلب غضب المخرج إلى ضحك ساخر ، وتحول الصراخ إلى النجمة التي أسرعوا بها إلى القسم الطبى ! ..



ميشيل يزين وجه  
النجمة الأمريكية  
« أوليفيا دو  
هافيلاند » -  
١٩٥٥ .

بعد سنوات قليلة ، ازداد فيها خبرة وتمكنا من عمله ، أصبح ميشيل رئيسا لقسم الماكياج بالاستديو . وتتابعث الأفلام تفتح له مسالك واسعة مُعْرِقة من النجاح والكسب والشهرة . كما أصبح له أيضا أسلوبه المتميز في التزيين إلى أن جاء يوم ظل عالقا بذاكرته لاينساه .

أخبروه بوصول « الوَحْش المرعب » : أورسون ولز ، الذي لم يكن وَقَع بعد عقد بطولة فيلم : « شَرُخ في المرأة » . قال منتج الفيلم داريل زانوك :

- كن حذرا يا ميشيل . فلسوف ترى أن السيد « ولز » سيحاول اتخاذ عدم رضائه عن الماكياج ذريعة لرفضه التعاقد على بطولة الفيلم .



أورسون ولز مع زوجته ريتا هيورث في فيلم :

« سيدة من شنغهاي - ١٩٤٨ » .

كان معروفًا بين الجميع في الاستديو أن عملاق الشاشة - ولز - غير متحمس لأداء دور البطولة في هذا الفيلم الذي يتمثل في شخصية محام مشهور وبنّاء معماري إيطالي معا ( شخصية مزدوجة ) . ولكي يُخفي ميشيل مخاوفه التي بدت في رعشة خفيفة بيده ، جهز أدواته والمواد التي كان عليه أن يستخدمها وواراها في ركن من غرفة الماكياج . وفجأة انفتح الباب ، وإذا بجسم العملاق يسد المدخل بأكمله ، ثم دَمَدَم بصوت مهيب ناطقا بالفرنسية : « صباح الخير » .. فلما انسلخ من فتحة الباب ، تقدم نحو الماكير المرتعد ، وخاطبه بكلمات مُقْتَضِبَة مستخدما صيغة المخاطب المفرد ( TU ) كنوع من الألفة ، مع ابتسامة خفيفة لا تُخفي قَدْرًا من التهكم والامتعاض . ثم فتح حقيبة معدنية صغيرة كان يحملها ، وأخرج عنها أدواته هو الخاصة بالماكياج . لم يكن هذا غريبا على ميشيل فقد تعود أن يأتيه بعض النجوم والممثلين ومعهم أدوات ماكياجهم والمساحيق والأصباغ التي يظنون أنها الأفضل والأنسب لهم ، وينتهي بهم الأمر إلى الاقتناع برأى ميشيل ( الذي يبيده بأناة وديبلوماسية ) ويبيّن لهم أن ظنونهم غير صحيحة .

لكن مع أورسون ولز لا مجال للمناقشة أو الإقناع .. بعد أن شرب كأسا كبيرة من الفودكا ، جلس مسترخيا على مقعد الماكياج الوثير أمام المرأة وهو يهدد بتلك الكلمات الموجزة المتحدية : « والآن ... أرنا مهارتك ! » . ثم غاص على الفور في نوم عميق !

كان قادمًا لتوه من الصين ، وكانت الرحلة مرهقة أنهكت قوّته . بينما انهمك ميشيل في العمل بلا تردد وقد زال عنه السوَجَل . وخلف الباب المغلق . وقف زانوك ليصقأ أذنه بالباب يسترق السمع ليعرف ما يجري وما يقول النجم العملاق المتأنف . لم يسمع شيئا ؛ فالصمت مطبّق ! لم يطق صبرا ، ففتح بهدوء شديد فرجة من الباب ، وإذا به يفاجأ « بالوحش » مستغرقا في نوم له غطيط ! فاقترب هامسا في

أذن ميشيل : «إذا نجحتَ في هذه المهمة ، فسوف نعطيك كل ما تطلب .. ونصحبك معنا أيضا إلى لوس أنجلوس ! » .

لم يُعره ميشيل التفاتا ، وكأنه لم يسمع كلماته . كان غارقا في مخاوفه ، ومركزا ذهنه كله في عمله . وبمجرد أن فرغ من لمساته الأخيرة ، تحرك جفنا ولز ، وفتح عينيه ، ثم حَمَلَق في المرآة . إن صورته تحمل أنفا جديدا وتجاعيد إضافية ، تماما كما المطلوب . ثم عاد ينظر متفحصا مرة أخرى مقتربا من المرآة ، ويطيل التأمل . وفي داخل ميشيل ، نما إحساس بأن النجم الكبير على وشك تفجير معركة . وفجأة ، تحدث المعجزة : تناول أورسون ولز سيجارا ضخما أشعله في هدوء دون نظر إلى ميشيل ثم قال بصوت خفيض واثق ، كلمة واحدة : « حسنا ! .. O.K » ! . وهذه الـ « O.K » هي التي فتحت لميشيل أبواب هوليوود الضخمة ! وفيما بعد ، علم ميشيل من أورسون ولز أن هذا النجم العالمى الكبير بدأ مثله طريقه الفنى السينمائى كماكبير لفرقة مسرحية متجولة ، وأنه دُهِش بحق لمهارة ميشيل وكفاءته الممتازة .

من الآن فصاعدا ، صار هذا الذى حظى بحماية ورعاية داريل زانوك شخصية مرموقة ، تُفتح له كل الأبواب ، ورغائبه على الفور تُجاب . ومن أمريكا تُرسل إليه كل أدوات ومستلزمات الماكياج التى تستخدم على أعلى مستوى فى هوليوود . وفى واقع الأمر ، لم يستغل ذلك التعالى والزهو فى نزوات طائشة . وإنما ازداد جهدا وحرصا على تحسين أسلوبه وكفاءته ، وفى تطوير مواد التزيين الفنية الفرنسية ، وعكف بجد وصبر على دراسة كيمياء هذه المواد المرسله إليه ، فكان يقضى ليالٍ بأكملها فى جراج بيته : يبحث ، ويجرّب ، ويبتكر . وكم قاسى فى ليالى الشتاء من برد ، ومن تجمد المواد، فكانت تتحول إلى كتل صخرية ! ثم واثته فكرة مدهشة : أن يُنتج مواد مبتكرة من تأليفه هو تحمل اسمه .. وقد كان !

وتمضى السنون .. وعندما احتفل بعيد ميلاده الخامس والثلاثين ، كانت

شهرته معروفة ومقدّرة في كل ستيوهات السينما العالمية. ولم يركن إلى هذا ويكتفٍ ، بل دأبَ - كعادته - على التحسين والتجديد . فعندما يصبح العاقل الطمّوح في المقدمة ، لا بد له من خطوة أخرى دائما ، محافظة على قيمته ، وتثبيتا لموقعه .

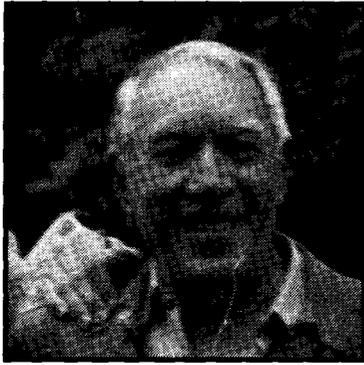
ولكن .. مُحال أن تستمر الحياة ورديّة هائلة على الدوام . مثلا : بذل جهدا كبيرا في فيلم « ماركو بولو » وكان يأمل من ورائه تحقيق خطوة متقدمة ، لكن الفيلم لم يُعرض قط !.. وفي ذلك الوقت ، توثقت علاقته بشاب ناشئ ، سوف يكون صديقا ، وذا شأن كبير : آلان ديلون . ( نجم السينما الفرنسية في الربع الأخير من القرن العشرين).



عمر الشريف



جريجورى بك



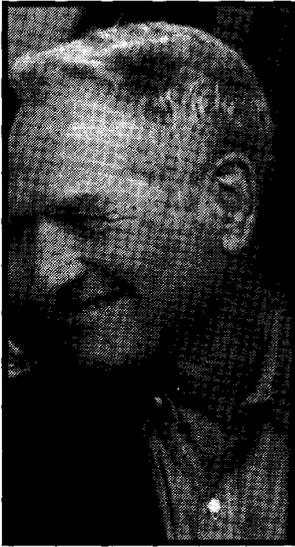
أنطونى كوين



آلان ديلون

ثم أتاحت له فرصة - مع تعاقب عمله بالأفلام الفرنسية والعالمية - أن يزين وجه النجم الأمريكي « جريجورى بك » ، ثم « أنطونى كوين » ، والمصرى « عمر الشريف » فى فيلم : « تأمل حصانا شاحبا » . وتوثقت صداقته مع « جان كلود بريلى » أثناء تصوير فيلم : « صيد الإنسان » ، ومع « بول نيومان » و « صوفيا لورين » فى فيلم : « السيد ل » . وسقط فى مستنقع نفايات بارد كالجليد أثناء تصوير فيلم : « هل تحترق باريس ؟ » .. فعلم يقينا أن الماكير الذى يعمل فى فيلم حربى كبير بهذا الحجم ، يشعر وكأنه يعيش بالفعل حياة جندى محارب ، أو يشترك فى مغامرة خطيرة .

ثم يشكر الله أن ساق إليه مرة أخرى ( الوحش المبجل ) : أورشون ولز أثناء تصوير فيلم بالصحراء ، فكان يأنس إليه ويحدثه طويلا - وميشيل مُصغيا - عن مغامراته ، وأفكاره ، وابتكاراته السينيمائية ، وعن أيام صباه . ويكتشف ميشيل أنه قلما يجد من النجوم اللوامع من لا يأنسون إليه ، فيتبسطون فى الحديث معه



بول نيومان



صوفيا لورين

بتلقائية وعلى السبجية، مُفَرَّغاً أحدهم نفسه من رياء أو مراء وهوى . إنهم في كثير من أوقاتهم - خارج العمل - يعيشون في عزلة مفروضة باردة ، وغالبا ماتعصرهم شواغل التفوق والنجاح ، وتحاصرهم مقتضيات الظهور بسُمْتٍ لائق بمكانتهم في المجتمع ، وكأنهم من غير البشر ! ..

ويذكر ميشيل ما كان بينه وبين المخرج الفرنسي المعروف « كلود لولوش » . ذات يوم ، نصحت الممثلة الفرنسية « آنى جيراردو » لولوش أن يستعين بميشيل في عمل الماكياج . لكن المخرج العنيد ، كان لا يُلقى بالا إلى الماكياج ، ويسفّه عمل القائمين به . فلم يكن يرى ضرورة في الاستعانة بماكيزر كبير متخصص في تصوير فيلمه « الحياة للحياة » ، ولكن نزولا على رغبة « آنى » وإرضاء لها ، وافق لولوش .

كان على ميشيل أن يحقق نجاحين معا : إقناع المخرج إقناعا كاملا بقيمة عمله كعنصر رئيسي في الفن السينمائي ، نظريا وعمليا . ومن لولوش تعلم ميشيل



« آنسى جيراردو »

أشياء ، منها : أسلوبه السريع الإيقاع مع الكاميرا المتحركة ، بما يشبه أسلوب التحقيق (الريپورتاج) المصوّر . وشاهد لأول مرة تسجيل الموسيقى متزامنة مع تصوير المشاهد . وأعجب بطريقة لولوش في الإخراج التي تتيح للممثلين حرية أكبر في الحركة الطبيعية ، وتخفف من صرامة الجو العام داخل الاستوديو أثناء الأداء . وكانا يتبادلان الرأي فيما تم من العمل اليومي . فكانت بداية لعلاقة وثيقة طيبة مع مخرج كبير لمس فيه الإخلاص الشديد للعمل ، وسلامة صدر نادرة . ولم يكتف لولوش بأن يتولى ميشيل عمل الماكياج في فيلمه التالي « حياة بأكملها » ، وإنما عهد إليه أيضا بتصميم الأزياء المناسبة للأجزاء التاريخية بالفيلم . فكانت فرحة كبيرة لميشيل ، دفعته إلى الاستغراق الكامل في العمل ، وراح ينقّب بشغف في المراجع التاريخية والفنية ، وأصبح يُستشار في أمور يسأله عنها الممثلين والممثلات خارج نطاق الماكياج ، فيعطى رأيه بصراحة وصدق ، ويختار لهم المناسب من الحلّ والمزيّئات .

في ليلة، وكان عائدا إلى بيته بعد عمل يوم شاق ، تلقى بمجرد دخوله مكالمة تليفونية راجية منه أن يتوجه فورا إلى ستديو سان مورترز ، ولم يكن له عمل فيه مرتب من قبل . والسبب : أن إليزابيث تيلور ( نجمة السينما الأمريكية ) غاضبة ثائرة . لماذا؟! كانت تصور مشاهد من فيلم « الممثلون » ومعها زوجها النجم الكبير ريتشارد بيرتون . وبينما كان الماكياج الخاص بها ( القادم معها من أمريكا ) يمارس عمله الفني فوق وجهها قبيل التصوير ، إذ بدت منه كلمة عتاب رقيقة أثارت ثائرة النجمة . قال :

- أنتِ كريمة مع كل الناس إلا معي ! .. ثم أخرج لسانه ، ربما عن غير قصد .. فانفجرت إليزابيث هادرة صاخبة ، ثم قالت :

- حسنا !.. سأكون اليوم أكثر سخاء ..

ثم وقَّعت شيكا بمبلغ كبير ، وقدمته إليه قائلة :

- خذ هذا ، وادفع منه ثمن تذكرة عودتك إلى لوس أنجلوس ، ولا تُرينى وجهك بعد ذلك أبدا ...

فكان لابد من استحضار ماكيير بديل على وجه السرعة . وعلى الرغم من أن ميشيل أصبح لا يهاب التردد على مقصورات النجوم الكبار بالاستديوهات العالمية واعتاد ذلك مرارا ، إلا أنه فوجيء تماما ودُهِش مما أُعد لهذه النجمة غير العادية من تجهيزات وتيسيرات داخل الاستديو : اتساع وبذخ وفخامة غير مألوفة . إنه جناح خاص كبير وليس مقصورة محدودة: غرفة للملابس ، وغرفة لعمل الماكياج ، وصالون للاستقبال ، وملحق به استراحة ، ومطبخ خاص ، وحمام فسيح فاخر متكامل ، وسبعة عشر شخصا ( من رجال ونساء لخدمتها وزوجها ، من بينهم السكرتير الخاص ، وسكرتيرة للسكرتير الخاص )!.. كل ذلك داخل الاستديو . وعلم ميشيل ما لم يكن يعلم : أن السيدة تيلور - الأسطورة في رأيه - تسافر ومعها خمس وعشرون حقيبة سفر كبيرة ، ومائة « باروكة » ، ومائتى فستان ، ومجموعة من كلابها ! ونظامها الثابت اليومي يتضمن تقديم الشراب لها ولبيرتون في ساعات محددة، يقدّم في كل منها نوع معين من المشروبات ، وبالتالي لكل المرافقين لها والمحيطين بها . ولما كانت الثلاجة الكبيرة بالمطبخ الخاص الملحق بجناحها لا تفي بكميات الثلج المطلوبة لكل ساعة ، فقد خصص لها الاستديو مساعدة ، مهمتها فقط: إعداد الثلج لكل شراب طوال الليل والنهار !

بدأ اللقاء معها مقبولا ميسراً . ولما علمت أن ميشيل يصنع أدواته ومساحيقه وأصباغه بنفسه وأعجبته أنواعها ، طلبت على الفور أن يُعد لها مائتى فرشاة ماكياج ، وخمسين قلم أحمر شفاه ، وخمسا وعشرين علبة كبيرة من دهان ( كريم ) أساس للوجه .. وأسرت إليه سكرتها الخاص أن الشيء الذى يعجبها، ولو كان

بسيطا ، تطلب منه كميات ضخمة . لم يستغرق عمل الماكياج لها وقتا طويلا ، لأن وجهها من الوجوه السهلة التزيين ؛ ولون حدقتي عينيها البنفسجيتين يجذب بطبيعته على الفور انتباه الناظر إليها . وبعد أن فرغ من عمله ، تأملت وجهها طويلا في المرآة ، ولم تنطق بكلمة . وتلك عاداتها إذا كانت راضية ، والويل للماكيجر إذا نطقت وتكلمت !

كان ميشيل سعيدا بالعمل مع هذه النجمة السينيمائية الكبيرة ، مسرورا من كرمها ، ونزواتها ، وحسن معاملتها له ، التي ذكّرتُه بأيام الشباب وتعامله مع



إليزابيث تيلور وريتشارد بيرتون

إيفون برنتان . وعندما أهدى إليها ريتشارد بيرتون اللؤلؤة الثمينة الشهيرة التي أهداها يوما الملك لويس الرابع عشر إلى ماري ما نشينى ، تناولتها إليزابيث كأى شىء عادى بسيط ، ولم تحرص على وضعها فى خزانتها الخاصة ( وهى تساوى ملايين الدولارات ) . بعد أيام قلائل ، سرى همس فى الاستديو بأن اللؤلؤة الثمينة ضاعت .. اختفت !! وكانت تسمى « الكمثرى » ، لأنها فى شكل وحجم ثمرة الكمثرى الصغيرة .

أسرع كل العاملين فى خدمتها - مذعورين - بالبحث والتفتيش : الفساتين تتطاير فى الهواء ؛ الأدرج تصطك وتفرغ على الأرض من كل محتوياتها ؛ السجاجيد تُرفع ؛ الأثاث يُبعثر ؛ علب الماكياج تُفحص .. كل ذلك ولا أثر « للكمثرى » .. شارك ميشيل فى حملة البحث المحمومة . وفجأة ، لمح أحد كلابها الصغيرة اليوركشارير يقبع ساكنا بين الموكيت الأبيض المطوى بسبب البحث العشوائى ، واللؤلؤة فى فمه بين أسنانه !! اقترب من الكلب بكل الحذر والاحتراس الوجيل - خوفا من ابتلاع الكلب للجوهره الثمينة - ثم مد يده برفق وانتزعها . ومن عجب أن الكلب ظل ساكنا لم يتحرك ، وكأنه تمثال من الصخر ! ولم يعلم بيرتون مطلقا بتلك الواقعة .

ذات مرة ، بينما كان ميشيل يثرثر مع سكرتيرة سكرتيرة النجمة المدللة ، وجو المطبخ هادىء مكيف ، وإذا بفرقة شديدة تنطلق ، انخلع لها قلب الماكير المسكين ! إلا أن السكرتيرة طمأنته حين سألها عن مصدر الصوت . قالت مؤكدة :

- لا تنزعج ، إنها ليز ( إليزابيث ) قذفت بحذائها إلى شاشة التليفزيون . وهذا يحدث أحيانا عندما تتناقش غاضبة مع بيرتون !

بعد انتهاء التصوير ، كان الوداع مؤثرا . قالت إليزابيث :

- موشيل ( هكذا كانت تنطق اسمه ) .. سوف أفقدك !

- وأنا كذلك يا ليز .

لقد أثرت في نفسه كثيرا تلك النجمة المتفجرة . كانت كريمة في سخاء ، سريعة التقلب بلا حذر ، لكنها حاسمة الرأي نافذة القرار . وقرر ميشيل مصاحبته حتى المطار . وفجأة ، لاحظ أن الزوجين لا يحملان معهما أية حقيبة . هل نسيا ؟.. انتابه القلق ، سأل سائق سيارتها ( الخاص أيضا القادم معها من أمريكا ) . فدُهِش السائق من سؤاله ، وكانت دهشة ميشيل أكبر حين أجابه ( السائق ) في ثقة وكبرياء :  
- إن « المدام » لا تشغل نفسها بأية أمتعة ، مطلقا ، ولا حقائب ، ولا حتى بصندوق مجوهراتها . كل ذلك حملته الطائرة السابقة على رحلتها مع بعض الحاشية!...

إن ميشيل يحب الباليه والأوبرا ، شغوف بهما إلى حد الجنون ! لذا كان في ذروة السعادة حين طُلب للعمل مع نجم الباليه اللامع « نوريف » الأسطوري الفذ ( هرب من روسيا وأقام في فرنسا في بذخ وشهرة الملوك ) .



نوريف - نجم الباليه - ومارجو فونتتين

إنه معروف في المسارح والاستديوهات بالدقة البالغة ، والنظام الصارم الدقيق الذى يُرعب المنتجين والمخرجين وكل الراقصات والمشاركين معه ، وأيضا الإعلاميين والصحافة . كان معه « مارجو فونتين » ، و « كارلا فرانشى » . لكن ميشيل اكتشف أن هذا النجم العملاق المرعب ، على قدر كبير من الفكاهة والمرح خارج نطاق العمل . ولاحظ أنه يهوى إيقاع راقصة الباليه الشابة الحسنة كارلا في مواقف محيرة مُربكة. ثم أدرك أن هذه المداعبات الصبيانية يمارسها نوريف للتخفيف من حدة التوتر المستمر والإرهاق الشديد، وهما إطار حياته - وحياة بطلاته أو باليريناته - على الدوام .

أعجب ميشيل بنظام نوريف الحديدى الحازم ، وبشجاعته الفائقة ، وبأنه - وكذلك المشاركين والمشاركات معه - يتمتعون بقدر كبير من التواضع وسمو النفس، وقَلَّ رؤية ذلك عند كثير من النجوم والممثلين والممثلات في مجالات الفنون المختلفة . ومع ذلك ، فإن بعضهم يدفع الثمن غاليا .

في ليلة ، بعد تقديم باليه « جيزيل » ، كان العرض رائعا ، استحق أن يقف الجمهور ساعة كاملة ، نعم ساعة بأكملها يصفق ويحيى النجوم والراقصين والراقصات ، والستارة تُفتح وتُقفل عدة مرات ، يصطف خلفها المبدعون ، تُصوّب إليهم « مقذوفات » المعجبين والمعجبات من ورد وزهور . وخلف المسرح ( في الكواليس ) نُعر ميشيل وهو يراقب النجوم وهم يخلعون أحذية الرقص : الأقدام متورمة ، يسيل من بعضها الدم !.. ضحكت الباليرينا « نويل بونتوا » ، وقالت في ثبات وثقة :

- لا تعجب يا ميشيل .. فهذه ضريبة النجاح !

- من فضلك : هل تسمحين بإهدائي فرّدة من حذائك المخضب بالدم أعلّقها في مكتبي ؟ إنها ستذكّرني دائما بالثمن الذى يجب أن يُدفع مقابل الوصول إلى القمة في الفن !

في أثناء تصوير فيلم : « عشيرة الصقليين » ، استمال ميشيل إليه عملاقا مبعجلا آخر: جان جابان . انزعج مخرج الفيلم حين علم أن جابان - الذي ترتعد منه الماكبييرة المخصصة له - رفض بإصرار ، غبتهها في تغيير مواد الماكياج التي يستخدمها منذ سنين، وهى مواد لا تخفف من احمرار وجهه ، بل على العكس !.. ولون الأساس فيها طوبى ، إذا وُضع فوق جلد جابان الجاف المجعد ، مع شعره الأبيض الناصع ، اكتسب لون الطين المتبيس . وعلى الرغم من النقد الذى وجّه إلى هذه المواد والمساحيق ، فإن جابان لم يكثرث ، وأجاب بأن الإضاءة بتأثيراتها الخاصة ستؤدى النتيجة المطلوبة . وبذل الفنيون محاولات بهلوانية لإرضائه ؛ فلما جاءت فى المساء عينات من اللقطات التى تم تصويرها فى الصباح على نحو ما أراد ، ظهرت سيئة مروّعة ! كان وجهه فى لون الطماطم !.. فاقترح المخرج بكل قة وحذر على جابان أن يجرب مع ميشيل ما قد يكون مناسبا ، فقبل جابان على مضض .

ما إن دخل ميشيل مقصورة النجم الضخم المهاب ، حتى بادره بلهجة حازمة باردة :

- إنى أحذرك يا سيد .. وأحب أن تعرف أننى لا أرغب فى تغيير المواد التى أستخدمها . ولذا ، يد أن أعرف ماذا ستفعل فيها ؟

- سأخلط لون الأساس عندك بلون أخضر صافٍ .

- بأخضر؟! .. بأخضر!؟ ..

جلس فى سكون بارد ، وكأنه لا يبالي ، تاركاً لميشيل فرصة للعمل . فأحس ميشيل أنه يزين وجهه تمثال : لا حركة ، ولا كلمة ، ولا حتى اهتزازة من رموش الجفن ، أو طرفة عين ولو بالرفض . فلما فرغ من عمل الماكياج ، عاد جان إلى الاستديو لتصوير لقاطات تجريبية ، فأرسلها المخرج فوراً إلى المعمل كسبا للوقت .

في المساء ، أعادها المعمل للمشاهدة وإبداء الرأي ، ويعترف ميشيل بأنه كاد يموت من القلق والخوف من سوء النتيجة ، وما سيَتَّبَع ذلك من تهكم ونقد لاذع . وما إن بدأ وجه جابان الجديد يظهر على الشاشة ، حتى سَرَتْ بين جميع الحاضرين موجة من الارتياح وهممة تدل على الرضا ، وصاح المنتج :

- إنه ليس جيدا وحسب ، بل ممتاز جدا !

أما جان جابان العجوز الأريب العجيب ، فلم ينطق بكلمة . وقف متباطئا ، ثم اتجه نحو مقعد ميشيل ، ومد يده إليه قائلا :

- يا سيد .. إنى أحترم أولئك الذين يعرفون جيدا عملهم !

فصارت صداقة متبادلة مع هذا « الغول » السينيمائي . وظل جابان يفَضِّل ميشيل في عمل الماكياج على غيره ، ويستدعيه أحيانا في المواقف الصعبة بالاستديو في أثناء تصوير أفلام لا يعمل بها ميشيل ، فيلبِّي رغباته بلا مقابل .

مع الأيام تجاوزت شهرة ميشيل مجال السينما والاستديوهات ، إلى قصور وبيوت « الكبار » من نجوم المجتمع في فرنسا وخارجها ، كلما سمعوا عن هذا « الساحر » الذي يُضفي على الوجوه نضارة وحُسن بهاء ، وجمال إشراقة فاتنة ! فأصبح يُستدعى من عواصم شتى ، فينزل ضيفا على كبار الشخصيات الرسمية وغير الرسمية في بلاد مختلفة ...

في يوم صائف لطيف من شهر يونيو ، وكان يروى زهور الأوركيد التي يزرعها ويرعاها في حديقة بيته ، دق جرس التليفون . قالت المتكلمة :

- كلفتني شخصية مهمة بالاتصال بك . هل ستكون في باريس الأسبوع القادم؟

- نعم يا سيدتي .

- إذن ، سأفصح لك عن تلك الشخصية .. إنها صاحبة الجلالة إمبراطورة إيران، وأنا عمتها .

بعد أيام قلائل ، توجه ميشيل إلى قصر قريب من حديقة « منسو » - في باريس - وهو يحمل صندوقا ثقيلا مليئا بكل ما يلزم من أدوات ومواد ومساحيق التزيين ، وكلها رفيعة المستوى . كان يشغل ذهنه طوال الطريق سؤال محير : ماذا سوف يحدث؟ وكيف ستكون النتيجة ؟

لم يكن يتوقع بعد دخول القصر - أيام حكم الشاه - أنه سيمر على هذا الحشد من رجال الأمن والحراسة : عند الأسوار ، وفي الحديقة ، في المدخل ، في الممرات والدهاليز .. وفي كل ركن ومكان !.. وتلك الفخامة الهائلة في الزخارف ، والأثاث ،



فرح إمبراطورة وإمبراطور إيران سابقا

والستائر ، والتحف ، والنجف ، والسجاد ، واللوحات .. شيء مبهر أنساه طول الانتظار . ثم أقبلت سيدة رشيقة أنيقة ، أخبرته أن صاحبة الجلالة تريد رؤيته . وقادته إلى صالون صغير تجمل أثاثه قطيفة زرقاء . تقدمت الإمبراطورة في بساطة

ودلال حوريات الأساطير ، طويلة رفيعة ، أجمل كثيرا مما رآها في الصور والتسجيلات المرئية. قالت في بشاشة مهذبة :

- إننى سعيدة يا سيد دورويل بمعرفتك . لقد امتدحتُ صديقاتى لمهارتك ، وقد سرنى كثيرا أنك استطعت أن تأتى .

في الحق ، كان ميشيل - كما قال - هو الغارق في السعادة والسرور ، خاصة مع هذا الاستقبال اللطيف الرقيق . وأعجبه أن كل شىء حوله ينم عن فطنة وذوق رفيع. شرحت له الإمبراطورة أنها ستتناول طعام الغداء في قصر الإليزيه ( قصر الرئاسة الفرنسية ) في حفل رسمي ، ولذا كانت رغبتها أن يكون الماكياج ممتازا . فطلب ميشيل أن يرى الثوب ( الفستان ) الذى أعدته للمناسبة ، والمجوهرات المصاحبة له . ثم تأمل المكان لاختيار موقع جلوسه لممارسة عمله . يقول في كتابه :

- لم أجد شيئا مناسبا مرتفعا أضع فوقه أدواتى ، فكل المناضد منخفضة . ما العمل؟!.. اهتديتُ بسرعة إلى حل : لكى أؤدى عملى جيدا ، فلا مفر من وضع المواد والأدوات على منضدة من هذه ، وأجلس على ركبتي . هكذا بدأتُ أزين الوجه الجميل الشهير ، وإذا بى أسمع صوتا من خلفى يصيح متعجبا :

- ما هذا ؟ أَرَجُلُ عند قدمي زوجتي ؟ !

في أقل من ثانيتين كنت واقفا منتصباً . واستدرت منحنيا وأنا أُجيب في اضطراب وبدون تفكير :

- أن يكون المرء عند قدمي جلالتها فهذا امتياز كبير !

- أنت مُحق .. وأنا كذلك عند قدميها ! واصلُ عملي جيدا .. لن أزعجك .. زَيْنُ حُسْنها ، ولكن لا تغيّر شيئا .. فأنا أحبها كما هى !

كان هذا أول لقاء مع إمبراطور إيران ... وأعجبت الإمبراطورة بماكياج ميشيل دورويل . وبمجرد عودتها إلى طهران أرسلتُ تدعوه لزيارة إيران ، والاستشارته فيما يتعلق بزینتها . فاستقبلته بحرارة ، ونزل في ضيافتها مكرّما لمدة أسبوع ، زار فيه



الرئيس السادات والشاه السابق

كثيرا من المعالم والمواقع الشهيرة ،  
وشعر - كما قال - كآئه « وزير »  
في رحلة الأحلام . وعندما طرد  
الشاه من بلده وأقام مع أسرته  
ضييفا على الرئيس أنور السادات في  
القاهرة ، طار ميشيل إلى مصر  
ليقدم تحيته للإمبراطورة في تلك  
الظروف الصعبة . فكانت مفاجأة  
لفرح ديبا ، وصارحته بأن  
القليلين جدًا فعلوا مثله ، وأن هذه  
هى أحوال الناس في الحياة .. وفي  
الأزمات ! . وقد ذكر ميشيل إعجابه

بشجاعته وثباتها، وبصمودها المدهش في هذا الموقف المؤلم العصيب .

ثم يحكى عن مواقف كثيرة متنوعة من خلال عمله مع وجوه شخصيات ونجوم  
وممثلين من بلاد شتى ، كل حسب موقعه ودوره الذى يؤديه ، من بينهم : رومى  
شنيدر (ومأساتها النفسية قبل موتها) ، مارشيلو ماسترويانى ، صوفيا لورين ،  
فاليرى كابر نسكى ، جيرار دوبارديو .... ثم يقول :

« عندما أنظر ورائى ، أرى أن الزمن مضى سريعا ، لأنه مع كل لقاء جديد ، كان  
لابد لى من نسيان - مؤقت - للوجه الذى سبقه . لقد أقمْتُ حياتى المهنية على  
أساس متين من المشاعر والأحاسيس ، وإزاء كل وجه أمامى ، كنت أتناسى كل  
شئ ، إلا فقط ما كان مطلوبا منى عمله لهذا الوجه ، ليصبح صادق التعبيرات  
والانفعالات والإيحاءات . حقا .. إنها مهنة دقيقة ممتعة ، وفن جاد جميل » .

\*\*\*